



بحث:

تعالق المستوى الصرفي بمستويات اللغة الأخرى

ودوره في تبيان الدلالة في تعليم العربية للناطقين بغيرها

الدكتور خالد حسين أبو عمشة

ملخص:

يروم هذا البحث الحفر في تعالق المستوى الصرفي وربطه بالنظرية اللغوية العربية في أنظمتها: الصوتية والنحوية والدلالية المعجمية والبيانية، وذلك استناداً إلى المقولة اللسانية "الكلمة من أهم لبنات التركيب اللغوي والبحث فيه". حيث تندغم هذه الأنظمة جميعاً في تبيان الدلالة للجملة العربية، وعلى الرغم من أهمية هذه المستويات جميعها إلا أن البحث التربوي مؤخراً ركز واعتمد على المستويات الصوتية والنحوية والدلالية، متجنباً الخوض في المستوى الصرفي لدقة مسأله وخطورة مسلكه. من هنا يطمح هذا البحث إلى إعادة تحليل معطيات المستوى الصرفي في إطار نظرة كلية إلى اللغة بصفتها نظاماً يتعاور لتشكيل المعنى.

Summary:

This research aims at investigating the levels of morphological Interplay found within Arabic linguistic theory in their respective systems: voice, grammatical, lexical and semantic, based on the linguistic argument, "the word is the foundation of the syntax and linguistic structure and searching in it." Within this scheme, all of these systems demonstrate the significance of the Arabic phrase, and despite the importance of all these levels, educational research has recently focused and relied on sound levels and grammatical and semantic, avoiding going into the morphological level because of its complex subtleties. Hence this research aspires to re-evaluate morphological analysis of data in the context of a holistic view of language as a collaborative system to form meaning.

اللغة والنظام اللغوي:

أضحى من الواضح لدى المشتغلين باللسانيات الحديثة بشكل عام أنّ اللغة أي لغة تشكل نظاماً لغوياً، وهي تسير وفق قواعد وأصول ثابتة لا تتغير، وهذا النظام له مستويات، هي: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي، والمستوى الأسلوبي، والمستوى الكتابي. وترتبط هذه المستويات ببعضها بعلاقات عضوية لا تكاد تنفصم، وإنما جرى تقسيم اللغة لهذه المستويات للتسهيل والتهيؤ، ويعد هذا الكلام أهم مداخل تعلم اللغات للناطقين بها وبغيرها، (Muhammad, 2006:10) حيث قام الباحثون اللغويون بتحديد كل مستوى ومجالاته، مما يُسهّل على المشتغلين في التدريس مهماتهم، فالنظام الصوتي على سبيل المثال يعالج القضايا الأساسية التي يجب أن يتعلمها الطالب العربي والأجنبي على حد سواء: الصوائت والصوامت، والتشديد، والحروف المتقاربة في المخارج وغيرها من قضايا المستوى الصوتي، وهذه تعدّ بحق أساسيات تعلم اللغة الأولى والثانية.



مخطط يبيّن مكانة النظام الصرفي بالنسبة للأنظمة اللغوية الأخرى

وذهب لمثل هذا السعران حين تساءل عن نوع التجريدات التي يقوم بها علم اللغة في سبيل دراسته، فقال: من المسلمّ به أنه لا بد لعلم اللغة، كما أنه لا بد لأيّ علم، من أن يُفرد أو يعزل أو يُجرّد شيئاً ما ليدرسه، وماهية اللغة توجب أن يكون ثمة أكثر من مستوى للدراسة، فاللغة من حيث كونها أصواتاً يدرسها علم الأصوات اللغوية، وله وسائله الخاصة به، وتكوين الأصوات في مقاطع وكلمات وجمل على أصول معينة يُدرّس تحت اسم المورفولوجيا (وهو ما أسميناه المستوى الصرفي) والنظم أي تحت اسم النحو، ودراسة اللغة من حيث كونها تدل على معانٍ، موضوعها علم الدلالة¹.

ومن الضروري أن يفقه متعلم اللغة والناطق بها هذه المستويات، ويتمثلها تمثلاً جيّداً، لأنها تمثل مفتاح نجاح فهم علم اللغة العربية، وبخاصة العلاقة التي تربط المستوى الصرفي بالمستوى الصوتي، حيث ربط تشومسكي بينهما، وأكد أنّ النظام الصوتي والصرفي مستويان متميزان، ولكنهما يعتمد الواحد منهما على الآخر، ويرتبطان بنظام القواعد عن طريق القواعد المورفونيمية (الصرفية الصوتية)².

وأضاف بأنّ الأصوات تتحد فيما بينها أو ينتظم كل واحد منها بوسائل معينة على وفق مجموعة من الضوابط الصرفية: البنية والسوابق والدواخل واللواحق فتصبح لكل مجموعة سماتها البنائية ومحتواها الدلالي لشتكيل الكلمة³.

ولإبراز أهمية هذه المستويات اللغوية بشكل عام أود أن أستعرض مثلاً واحداً لكل مستوى، ولأفصّل بعد ذلك القول في المستوى الصرفي موضوع هذه الدراسة.

فمن أمثلة المستوى الصوتي أنك إن سمعت امرأة تقول "أحتاج إلى ألم"، فقد يختلف الأمر على الدّارس، فكيف تحتاج امرأة إلى الألم، لذلك فإنك ستنسب هذا الأمر إلى المستوى الصوتي لأنها تريد القول: أحتاج إلى قلم، ومعلوم في ثقافة بلاد الشّام تحويل القاف إلى همزة. وكذلك إن سمعت شخصاً يقول إنّ المدراء ينوون القيام بكذا وكذا، ظننت أنه قال الصواب، لكنّ معرفتك بأبنية الكلم تجعلك تقرر أنّ جمع مدير مديرون وليس مدراء، وهذا كما هو واضح لك يعود للمستوى الصرفي. وإذا سمعت شخصاً يسأل الآخر عن حاله فقال لك إنّه مبسوط، فقد يتبادر إلى ذهن الأردني والفلسطيني مثلاً أنّه سعيد، فيما لو سمعها عراقي لأدرك أن صاحبه قد تعرّض لضرب مبرّح. وهذا المستوى يتعلق بالمستوى الدلالي. وإذا قرأت في الصّحف مثلاً: إنّ تركيب وفهم الجملة يعتمد على أسرار تكوينها، عرفت أنّ هذا تركيب ضعيف إذ لا يجوز أن يعود عائدان إلى مضاف إليه واحد، والأصل أن نقول: إنّ تركيب الجملة وفهمها يعتمد على أسرار تكوينها، وهذه المسألة تتعلق بالمستوى النحوي. وإن وجدت أحد الأشخاص يكتب لك: دعى المدير الأساتذة إلى حضور الاجتماع، عرفت أن دعى كتبت على غير صورتها التي يجب أن تكون عليها، فما كان أصله واوياً وجب أن يكتب على صورة الألف الممدودة وليس المقصورة، لذلك ينبغي أن تأتي هذه الكلمة على صورة: دعا.

وتعني هذا الدراسة كما يتضح من عنوانها بتعلق المستوى الصرفي بمستويات اللغة الأخرى: الصوتي والنحوي والمعجمي، وذلك لأن الأصوات لدى تعلمها تتركب في كلمات، وتتخذ هذه الكلمات في اللغة هيئة أبنية صرفية مخصوصة، ذلك أنها تأتي على صيغ مفررة متمايزة، فللفعل صيغ، وللإسم صيغ، وللمشتقات صيغ، وللمكان صيغ وللزمان صيغ وللمشتقات صيغ وللجمع صيغ، وللتأنيث صيغ وللتثنية صيغ وهكذا. واسم الفاعل غير اسم المفعول والمصدر غير الفعل وهكذا دواليك.

يمثل الصَّرف في النظرية اللغوية العربية الكلاسيكية ركناً أساسياً ومشاركاً لمكونات النظام اللغوي: الأصوات، والنحو/ التركيب والمعجم/الدلالة. ويقر عبد السلام هارون بأن الصرف لم يحظ بكثرة المؤلفات واهتمام الباحثين مع أنه في صميم المباحث اللغوية، والمرشدة إلى السلوك اللغوي الصحيح⁴. وهذا ما يلحظ عموماً في المكتبة العربية فالصرف في البحث اللغوي الحديث تباينت وجهات النظر حوله، فهو لم يُحظ بما حظي به صنوه الدرس النحوي ولربما تعود أسباب هذا العزوف والابتعاد عن الدرس الصرفي إلى ذات الأسباب التي ذكرها ابن جني في كون علم الصرف علم صعب المسلك دقيق المآخذ. وكذلك عزوف اللسانين وعلماء اللغة الوصفيين عن درس الكلمة وأبنيته باعتبار أن الكلمة مقولة ملتبسة لا تصلح أساساً للبحث اللغوي. وقد أفصح مارتيني عن ذلك بقوله "بما أن الكلمة وحدة غير محتفظ بها في اللسانيات العامة، بوصفها وحدة ضرورية بين المونيم، أصغر دليل، والجملة أصغر سلسلة كلامية كفيلة بالتمثيل لجمل البنية التركيبية في اللغة، فلا مجال لمعالجة تركيب المونيمات داخل الكلمة في استقلالية عن معالجة تركيب الكلمات في الجملة"⁵ وعليه فقد تم استبعاد الكلمة من المقولات اللسانية وترتب عن ذلك أن أضحي الصرف غير ذي موضوع⁶ وبقي الأمر كذلك إلى أن أعاد تشومسكي الاعتبار إلى البحث في البنيات الكلامية كونها البنيات التي تشكل البنيات المركبية. يقول بلبول إن العودة إلى المورفولوجيا بوصفها مستوى مستقلاً للتمثيل للاطرادات البنيوية داخل مجال الكلمة تقتزن في اللسانيات المعاصرة ظهور أعمال تشومسكي وهالي. وذلك في ضوء الحاجة إلى حصر ما يدعى في النظرية الفنولوجية بالمركبات الفنولوجية مجال العمليات الفنولوجية وتسمى هذه القواعد التي تمثل على مستوى وسيط بين التركيب والفنولوجية بقواعد التعديل في ضوء نظرية تشومسكي في القواعد الكونية. وقد اتضحت معالم النظرية الفنولوجية في اللسانيات الحديثة واستقت مشروعيتها الحديثة وميلادها الحديث في إطار ما يعرف النظرية المعجمية التي قدم لها تشومسكي في مقالته الشهيرة "ملاحظات حول الترسيم" ففي هذه المقالة أكد على أن الكلمات المعجمية تكوّن بموجب قواعد صرفية لتكوين الكلمات تؤدي دوراً واضحاً في دلالات البنى العميقة والبنى السطحية وعليه، نجم عن ذلك اشتغال القواعد التحويلية بالكلمات وأبنيته الصرفية⁷. وقريب من هذا ما ذكره ماريو باي⁸: إن الكلمة قد قبلها علماء اللغة على أنها موضوع من الموضوعات الرئيسية لعلم اللغة، وعلى أنها محل اهتمام ما يعرف بعلم المفردات. وقد اكتسبت هذه المكانة كونها أي الكلمة ما تتركب منها الجملة، فالأصوات تشكل المفردات والمفردات تشكل الجمل والجمل تنشئ المعاني. ويصف الدكتور عودة أبو عودة هذه العلاقات والوشائج في قوله: إن التغيرات التي تصيب الجملة العربية: أصواتها ومفرداتها وعلاقاتها ودلالاتها تتحقق لدى السامع أو القارئ في لحظة واحدة، فهي كالحواس الخمس تعمل في الإنسان في لحظة واحدة فلا يدري الإنسان أسمعته سبق بصره أم حسه سبق ذوقه، وهكذا يدرك القارئ دلالة اختلاف الصوت في اللغة التي يدرك فيها دلالة اختلاف البنية الصرفية أو التركيب اللغوي، وهكذا⁹.

المستوى الصرفي وعلاقته بالمستوى الصوتي:

تعالت كثير من الأصوات التي تنادي بربط الدرس الصرفي بالدرس الصوتي وظهرت محاولات عديدة لذلك، ولعل من أبرز هؤلاء إبراهيم أنيس، وتمام حسّان، وكمال بشر، ورمضان عبد التواب، ومحمود فهمي حجازي، وأحمد مختار عمر، وعبد الصور شاهين، ومحمود السعران، ونهاد الموسى، ومصطفى النحاس وغيرهم كثير من اللغويين المعاصرين. وعد هؤلاء اللغويون المستوى الصوتي أول خطوة في أي دراسة لغوية صرفية أو نحوية أو دلالية، لأنه يتناول أصغر وحدات اللغة ونعني بها الصوت الذي هو المادة الخام للحديث الإنساني¹⁰. وهذا ما نجده كذلك لدى دي سوسير حيث قال: إن دراسة المستوى الصوتي أول الخطوات نحو الحقيقة اللغوية¹¹.

ويؤكد عبد الصبور شاهين على ضرورة التجديد في دراسة الظاهرة اللغوية وفق منهج متكامل للدرس اللغوي، ابتداء من الأصوات إلى الصيغ إلى التراكيب مروراً بكل مستويات البحث، بدلاً من الوضع الراهن الذي يجعل من كل مادة مجالاً مستقلاً بحد ذاته، ولا علاقة له بغيره من المجالات، ومن النادر أن نجد في كتب اللغة القديمة من يشير إلى الارتباط بين ظاهرة نحوية وأخرى صرفية وثالثة صوتية مع أن كثيراً من الظواهر لا يمكن تفسيرها دون تضافر هذه المستويات جميعاً¹².

إن الصرف شديد الصلة بعلم الأصوات، ويعجب المرء ممّن يتعاملون مع الدرس الصرفي دون الاعتماد على نظريات العلوم الصوتية وأفكارها، ويرى شاهين بأن الصرف العربي عانى من خلل في الماضي بسبب ربطه بالنظام الكتابي وابتعاده عن النظام الصوتي، فالكتابة تعجز في كثير من الأحيان توضيح مفاهيم البنى الصرفية على عكس علم الأصوات الذي يتولى هذه المهمة بكل يسر واقتدار، كالنبر والتنغيم. ويرى دي سوسير أنه لا يمكن فصل المستوى الصوتي عن المستوى الصرفي لأتّهما متكاملان، ولكن الدراسات اللغوية الحديثة فصلت بينهما لضرورات منهجية وتعليمية. وهذا ما كان لدى شيخه وأستاذه إبراهيم أنيس في حين أخذ على الصرفيين العرب أنهم لم يراعوا في تفسير بعض القضايا الصرفية كالإعلال والإبدال والهمز وفق النظرية الصوتية، فقد انتقد الصرفيين القدماء في تفسيرهم لهمزة السماء، فمن الثابت لديهم أنها منقلبة عن واو، لكنهم لم يقدموا تفسيراً علمياً مقنعاً وفق معطيات الدرس الصوتي.

وذكر شاهين بأن أستاذه فيشر قد دعا إلى ضرورة أن ينظر في الصرف العربي على ضوء معطيات الدرس الصوتي، بحيث لا تكون دراسة الكلمات من رسمها الإملائي بل من نطقها الصوتي. ويضيف قدّور بأنّ علماءنا القدامى قد تنهوا إلى الصلة الوثقى بين الأصوات والتغيرات الصرفية، حيث قدموا لأبواب الإدغام والبدل ونحوهما بعرض للأصوات العربية ومخارجها وصفاتها وما يأتلف منها في التركيب وما يختلف،

وما يعد حين اجتماعه مرذولاً أو مقبولاً أو حسناً أو غير ذلك ... وإن لم يتبعوه نهجاً لهم في الإجراء الدراسي، وما ذلك إلا لتشعب المواد المطروحة بما سواها من علوم¹³.

وأضحى بدهياً في اللسانيات الحديثة العلاقات الوشيحة بين الأصوات والصرف، حيث تعد الدراسات الصوتية أول خطوة في أية دراسة لغوية مروراً بأبنية الكلم انتهاءً بالتراكيب اللغوية، وهي التي تتناول الصوت باعتباره المادة الخام للكلام الإنساني، فالصرف وفق هذا التصور الحديث يعتمد اعتماداً كلياً على نتائج علم الأصوات وكذلك الحال النحو يعتمد على ما يقدمه الصرف من نتائج، والدراسات الصرفية التي لا تستند مباحثها على نتائج الدراسات الصوتية لا شك ستكون ناقصة وقاصرة، إن لم تكن فاشلة. يقول فيرث: إن أية دراسة لسانية على أي مستوى من مستويات البحث الكلمة أو الجملة لا يمكن أن تتم ما لم تعتمد على قواعد صوتية وأنماط تنغيمية، وإنه لمن المستحيل أن تبدأ دراسة الصرف بدون تحديد صوتي لعناصره أو بدون التعرف على هذه العناصر بوساطة التلوين الصوتي، والظواهر الصوتية تؤدي دوراً بارزاً في تحديد الوحدات الصرفية وبيان قيمتها، ويضيف بأن علم الصرف لا قيمة له ولا وجود له بدون علم الأصوات، وذلك لأن مباحث علم الصرف قائمة على ما تقدمه الدراسات الصوتية من حقائق وقوانين.

ويوضح الدكتور أبو المكارم تأثير المستوى الصوتي في المستوى الصرفي قائلاً: وفي بحوث علم الصرف يتضح اعتماد علمائه اعتماداً يوشك أن يكون تاماً على معلومات صوتية، حتى أنه يمكن أن يقال دون كبير تجوّز إنه ليس من الممكن تصور وجود واضح ومحدد لعلم الصرف كما حفظه لنا التراث مجرداً من المؤثرات الصوتية فيه، إذ على اختلاف مجالات البحث الصرفي نجد الحقائق الصوتية الخالصة أو صداها المباشر، وتنسأ، هل يمكن فهم ظواهر الإعلال والإبدال والقلب والهمز والتسهيل والمد إلخ دون أن يوضع في الاعتبار ما خلف هذه الظواهر من حقائق صوتية.

وتقوم دراسة الظاهرة اللغوية ابتداءً من علم الأصوات العام الذي يدرس الصوت اللغوي وخصائصه السياقية، وما ينشأ عن مجاورته لغيره من تأثير يغير من صفاته، وإن لم يغير من دلالته، فتكون مجموعة أشكال الصوت الواحد على اختلاف السياقات واللهجات ما يعرف بالفونيم، أو الوحدة الصوتية، وما ينشأ عن اتصال الصوامت بالصوائت من مقاطع صوتية، في إطار علم الأصوات التشكيلي، تلي هذه المرحلة المستوى الصرفي Morphology الي يتولى دراسة بنية الكلمة¹⁴.

ومن أبرز القضايا التي تربط الصرف بالمستوى الصرفي والنحوي أيضاً أصوات المد في أحوالها الثلاثة، الألف والواو والياء، سار، ويميل، ويقول، فالقدماء يعدون هذه حروف مد لا تمثل أصول الكلمة العربية، وهي في الحقيقة من صلب المستوى الصرفي وأبنية الكلم. كما تتجلى الوشائج بين العلمين المستوى الصرفي والصوتي في قضايا الإعلال والإبدال. وهذا أيضاً ما نادى به تمام حسان مبرزاً دور المستوى الصوتي في فهم المستوى

الصّرفي، ومن القضايا التي نادى بإعادة دراستها بجانب ما ذكرناه آنفاً من الإعلال والإبدال وحروف المد، قضايا: المماثلة، والتخالف والإتباع والإضعاف والقصر والمدّ والإفراد والجمع، والتشديد، والقلب والنقل، والحذف والزيادة، والتعويض وظاهرة القلقة والتفريق بين العامي والفصح¹⁵.

ومن الأمثلة التطبيقية التي تربط الدرس الصرفي بالدرس الصوتي واعتماده على نتائجه ومعطياته موضوع حركات المدّ، وموقعها، فعلى الرغم من اتفاق جل العلماء على الحركات تأتي بعد الحرف إلا أن ذلك شابه بعض الخلط، ومن ذلك اقتضاء حركة قصيرة لكل حرف، كإلزامه له لزوماً مطلقاً، فلا حرف بلا حركة، وليست في نفس الوقت مستقلة عن الحرف، ولا يمكن نطقها منفصلة، ومن تم تثبيت هذه الظاهرة بما وضع أبو الأسود الدؤلي من حركات فوق الحروف وهي ما باتت تعرف بالفتح والضمة والكسرة، والأمر الآخر اعتبار الحركات الطويلة غير الحركات القصيرة، على الرغم من مقولة ابن جني المشهورة "أن الحركات أبعاض الحروف" مما جعلهم في إشكالية تفسير الحركات على الصوامت في كلمات مثل: سار، وسعى، فهناك فتحة على السين يليها حرف مد، وهناك فتحة على العين يليها حرف المد، وفي واقع الأمر نحن لا نلتزم إلا بحركتين قصيرتين تمثلان حرف المد الطويل، فأين النطق بالفتحة القصيرة على الحرف الصّامت قبل حرف المد. إنّ الدراسات الحديثة تختلف في رؤيتها وتحليلها لهذه الظاهرة عما ورد لدى القدماء فالمسألة تبحث الآن صوتياً قبل الانتقال إلى البنية الصرفية. وكذلك الأمر في موضوع التنوين فمعالجته كانت شكلية كتابية في حين ينبغي أن تكون صوتية صرفية.

كما أن نظام المقاطع يعد حلقة وسطى بين النظام الصوتي والنظام الصرفي، فمن خلال الصوامت والصوائت تتشكل المقاطع، وإنّ المقطع قد يشكل كلمة مستقلة، وقد يتعاور مع مقاطع أخرى لتشكيل كلمة عربيّة. وهذا يقودنا إلى أن الكلمة تتشكل من عنصرين: عنصراً ثابتاً وآخر متغيّراً، فأما الثابت فهو مجموعة الصوامت التي تشكل هيكل الكلمة، وأما المتغير فهم مجموعة من الحركات التي تحدد صيغتها وتمنحها معناها¹⁶، وبهذا الدور الصوتي تزداد قيمة الكلمة الصرفية، وتحدد معالمها، وتكسب معالمها، وتتجلى دلالاتها، باعتبارها العمل الحاسم في خلق الكلمة.

وسأكتفي بسرد مثالٍ واحدٍ يتداخل فيها المستوى الصرفي بالمستوى الصوتي في تبيان الدلالة في القرآن الكريم قوله تعالى: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا {5/4}، حيث قرأ الجمهور قياماً - بألف بعد الياء - . وقرأه نافع وابن عامر قياماً - بدون ألف بعد الياء - . القيام في الأصل مصدر قام إذا استقل على رجليه، ويستعار للنشاط، ويستعار من ذلك للتدبير والإصلاح والنفع، لأن شأن من يعمل عملاً مهماً أن ينهض له. وأما قراءة نافع وابن عامر قياماً فهو مصدر (قام) على وزن فعل - بكسر ففتح - مثل شبع، وقيل: قيام جمع قيمة أي التي جعلها الله قياماً أي أثماناً للأشياء¹⁷، ويضيف الطبري "قياماً" و"قيماً" و"قواماً" في معنى واحد وكذلك قال الكسائي والفرّاء: قياماً

وقواما بمعنى قياما. وقالوا: يقال: فلان قيام أهله وقوام بيته، وهو الذي يقيم شأنه، أي يصلحه. ولما انكسرت القاف من قوام أبدلوا الواو ياء¹⁸.

المستوى الصرفي وعلاقته بالمستوى النحوي:

يختص المستوى النحوي بتنظيم الكلمات التي تتشكل من مجموعة من الأصوات والمقاطع الصوتية والكلمات في جمل وفق مجموعة من العلاقات لأداء معنى مخصوص. كقولنا ضرب موسى عيسى، فإن وضع هذه الكلمات وفق نظام خاص جعلنا نفهم بأن موسى هو الضَّارِب، وعيسى هو المضروب. يقول مجاهد¹⁹: ففهم المباني من خلال التحليل الصرفي هو المدخل الطبيعي لإدراك المعاني النحوية لهذه المباني. وقد لاحظ اللغويون العرب منذ قديم الزمان العلاقة المطردة بين الوظيفة النحوية والبنية الصرفية، يقول ابن هشام في مغني اللبيب فإن العرب قد يشترطون في باب شيئاً ويشترطون في آخر نقيض ذلك الشيء على ما اقتضته حكمة لغتهم وصحيح أقيستهم، فإذا لم يتأمل المعرب اختلفت عليه الأبواب والشرائط. فالمصدر بوصفه بنية صرفية يرتبط بوظائف نحوية مخصوصة كالمفعول المطلق والمفعول لأجله، والمشتق يرتبط بالحال والنعته، والجامد يرتبط بعطف البيان والبدل. وقريباً من هذا ما سجلته لنا ملكا إيفتش في كتابها اتجاهات في علم اللسان حيث تقول: إن العرب كانوا أول من اعتبر العلاقة بين صيغة الكلمة في المستوى الصرفي ووظيفتها في التركيب على المستوى النحوي، وهذا ما أغرى لطيفة النجار لتقييم دراستها على استقرار هذه الظاهرة في التراث العربي ولتؤسس بذلك أصلاً منهجياً لديهم قلما التفت إليه أو عني باستخراجه²⁰. وقد وصف نهاد الموسى هذه العلاقة بتعالقها الشديد بين النحو والصرف²¹، فيما قال عبد الصبور شاهين بأنه لا مناص من الربط بين النحو والصرف وبين اللغة الجديدة المتجددة أي المجال الدلالي²².

ويرى تمام حسان أن النظام النحوي في اللغة العربية يبني على مجموعة من الأسس أجمالها في: طائفة من الأساليب والمعاني النحوية، ومعاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية والإضافة إلخ، ومجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني أو الوظائف النحوية، وما يقدمه الدرس الصوتي والصرفي من قرائن صوتية وصرفية كالحركات والحروف والمقاطع ومباني التقسيم، ومباني التصريف، والقيم الخلافية أو المقبلات بين العناصر المختلفة²³.

ويؤكد اللغويون على تلاحم النحو وارتباطه بالصرف، ويمكن وصف تلك العلاقة بعلاقة اللحم بالعظم لا يمكن أن ينسلخا عن بعضها ويبقى لهما وجود حقيقي، وذكر حسان بأنّ النحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف من المباني، وهذا هو السبب الذي جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان أنه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنحو فيعالجون كلاً منهما علاجاً منفصلاً، ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك، يصعب معه إعطاء ما للنحو وللنحو وما للصرف للصرف²⁴.

وتعد الصيغ الصرفية من أهم الضوابط التي لجأ إليها للفرقة بين المعاني، فمن مهمات الجهاز الصرفي في العربية التفريق بين معنى بنية وبنية أخرى لرفع اللبس في المعاني النحوية المختلفة، ويؤمن من الخلط بينها في الفهم، وذلك غاية عظمى من غايات اللغة. ومن الأساليب المتعددة التي ترفع اللبس في فهم المعاني:

- صياغة الأبنية وخاصة في حال المبني للمجهول فمثلاً: الفعل المبني للمجهول يضم أول مطلقاً ويكسر ما قبل آخره في الماضي ويفتح في المضارع، للفرقة بين الفاعل ونائبه، ولو لم تغير الصيغة لالتبس المفعول المرفوع لقيامه مقام الفاعل - بالفاعل.

- تنوع الحركات واختلافها، حيث تؤدي دوراً مهماً بيناً في التفرقة بين الصيغ ذات الدلالات الخاصة.

- وللبنى الصرفية أيضاً دور كبير في التفرقة بين الوظائف النحوية فقد اهتدى النحويون إلى أن هناك علاقة مطردة بين الوظيفة النحوية والبنية الصرفية فالسمات الشكلية للأبنية الصرفية من نحو: التعريف والتنكير والاشتقاق والجمود تكون أصلاً في تعيين كثير من الأبواب النحوية فوجدناهم يضعون شروطاً تعود في أغلبها للبنية الصرفية لكل باب نحوي، وتمثل هذه الشروط معياراً يلتفت إليه في كثير من الأحيان فالعرب يشترطون - كما ذكر ابن هشام - في باب شيئاً ويشترطون في آخر نقيض ذلك الشيء على ما اقتضته حكمة لغتهم وصحيح أقيستهم، فإذا لم يتأمل المعرب اختلطت عليه الأبواب والشروط. فالجمود والاشتقاق يعول عليهما في التفرقة بين الوظائف النحوية المتشابهة، فالحال يكون مشتقاً والتميز جامداً، والصفة مشتقة، وعطف البيان جامد، حتى لا يمكن التفرقة بينهما إلا من هذه الناحية، وشرط المفعول المطلق والمفعول لأجله أن يكون مصدرراً.

- وللمعرفة مواقعها كذلك، فالألف واللام لا يكونان حالاً البتة، فلو قلت مررت بزيد القائم كان قبيحاً إذا أردت قائماً. وكذلك الحال في التعدي واللزوم الذي يكشف وظيفة الفضلة، فالمنصوب بعد فعل لازم لا يكون مفعولاً فلا بد أن نبحت له عن وظيفة أخرى كأن يكون ظرفاً أو غيره في ضوء الوسائل الأخرى²⁵. ويرى قدور (1996) أن المنهج اللساني الحديث لا يتوقف في دراسة المستوى النحوي على تراكيب الجمل وأنماطها وعلاقاتها الشكلية التي اهتم بها الدرس المعياري، إنما يتعدى ذلك إلى البحث عن المعاني التي تعبر عنها تلك التراكيب بين حدود النحو والصرف والصوت والبلاغة إلخ.

ومن المسائل التي يتعالق فيها المستوى الصرفي بالنحوي بقوة ووضوح عمل المشتقات. وإليك طائفة من الأمثلة التي تبين عن هذا الملمح وتكشفه:

يقول تعالى: **إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمَّ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمُ الْمَوْتُ وَلَكُمُ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا {90/4}**. ومعناه ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لأنكم مسلمون، ولا يريدون قتالهم لأنهم أقاربهم. واختلفوا في موضع قوله: **{ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ }** وذكروا

وجوها : الأول : أنه في موضع الحال باضمار «قد» وذلك لأن «قد» تقرب الماضي من الحال ، ألا تراهم يقولون : قد قامت الصلاة، وتقدير الآية ، أو جاؤكم حال ما قد حصرت صدورهم. الثاني : أنه خبر بعد خبر، كأنه قال : أو جاؤكم ثم أخبر بعده فقال : { حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ } وعلى هذا التقدير يكون قوله : { حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ } بدلا من { جاؤكم } الثالث: أن يكون التقدير: جاؤكم قوما حصرت صدورهم أو جاؤكم رجالا حصرت صدورهم، فعلى هذا التقدير قوله : { حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ } نصب لأنه صفة لموصوف منصوب على الحال ، إلا أنه حذف الموصوف المنتصب على الحال²⁶ ، وتقرأ بالتاء المربوطة المنصوبة (حصرة) عند يعقوب من العشرة على اعتبار أنها حال. ويكون الإعراب في هذا السياق، صدور فاعل للفعل حصر، القراءة الثانية فاعل للصفة المشبهة، بذا عملت المشتقات عمل الفعل. وفي قوله تعالى: أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {14/90} يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ {15/90} أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ {16/90} (البلد). { أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً... } الآية [15-14/90]، فقوله: { يَتِيماً } مفعول به للمصدر الذي هو إطعام؛ أي: أن يطعم يتيماً ذا مقربة.

المستوى الصرفي وعلاقته بالمستوى المعجمي/الدلالي:

تقوم استقامة المعنى المعجمي أو الدلالي على روائز متعددة منها المبني الصرفي للكلمة فيما إذا كانت اسماً أو صفة أو فعلاً أو غير ذلك، وتعرف به أي المستوى الصرفي أوجه الدلالة في الكلمات، وهو علمٌ لا غنى عنه في علوم اللغة كلها، ومناحي الحياة جميعها، وتفسير القرآن والسنة كذلك الحال، بل ويذهب بعضهم إلى أن كل ما وُضِعَ في هذه اللغة العربية من تصنيفٍ فهو مفتَقَرٌ إلى علمِ التَّصْرِيفِ²⁷.

وينبنى النظام الصرفي في اللغة العربية حسب تمام حسان على ثلاث دعائم²⁸، هي:

- مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم، ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.

- طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة، وبعضها لواصق وبعضها زوائد وبعضها مباني أدوات.

- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية، وهي وجوه الارتباط بين المباني وطائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات، وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني.

ولا يمكن أن يكون الإنسان صاحب تدبر وتفهم إلا إذا كان متقناً لهذا العلم. يقول ابن فارس من فاته علمه أي (علم الصرف) فاته المعظم لأننا نقول: (وجد) كلمة مبهمه فإذا صرفناها اتضحت فقلنا: في المال وجدا، وفي الضالة وجدانا، وفي الغضب موجدة، وفي الحزن وجدا. (البرهان في علوم القرآن). وقد زحرت كتب اللغة والتفسير بقضايا الخلاف التصريفي، إلى حد جعلت بعض اللغويين بتسميتها ببدع التفسير، ومنها: أن الإمام في قوله تعالى: { يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ } جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون

آبائهم لثلاثا يفتضح أولاد الزنا، قال: وليت شعري أيهما أبدع أصححة لفظة أمه أم بهاء حكمته، يعني أن أما لا يجمع على إمام، هذا كلام من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب²⁹.

وسأدلل على أهمية المستوى الصرفي في تبيان الدلالة على المستوى المعجمي من خلال ثلاثة محاور:
أثر البنية الصرفية في أبنية الأفعال، وأثر البنية الصرفية في أبنية الأسماء، وأثر البنية الصرفية في أبنية المشقات.

أثر البنية الصرفية في أبنية الأسماء:

تعود كثير من خلافات الفقهاء في الاستنباط إلى خلافهم في مسائل صرفية، فمثلاً: قال ابن الأنباري رحمه الله: إن الخلاف بين المالكية والشافعية وغيرهم في العدة هل هي بالحيض أو بالأطهار، خلاف أصله راجع إلى التصريف، وذلك أن الله تعالى يقول في كتابه: { وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ } [البقرة:228] ، فقال: القرء الذي يجمع على قروء هو الطهر، والقرء الذي يجمع على أقراء هو الحيض، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث فاطمة بنت أبي حبيش : (دعي الصلاة في أيام أقرائك)، فقال: الأقراء هي الحيض، والقروء هي الأطهار.

واستدل على ذلك بقول الأعشى :

أبي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالاً وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نساكا

والذي يضيع هو الأطهار لا الحيض. واستدل كذلك بقول الراجز: يا رب مولى حاسد مباحض علي ذي ضغن وضب فارض له قروء كقروء الحائض فالقروء هنا للحيض لا للأطهار³⁰. ونظير هذا كثير جداً في الكلمات القرآنية أو كلمات السنة التي يكون الاختلاف في فهم دلالتها سبباً للاختلاف في مسائل فقهية، ويكون ذلك راجعاً إلى أحد علوم اللغة المذكورة.

أثر البنية الصرفية في أبنية الأفعال:

من المواضع الدقيقة التي يتجلى فيها تداخل المستوى المعجمي بالصرفي على مستوى أبنية الأفعال في قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَعَزَّزُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ {222/2} يَطْهَرْنَ أي ينقطع الدم، و {تَطَهَّرْنَ} بمعنى النقاء من الوسخ والقذر أي يغتسلن³¹. وعليه فالطهارة هي انقطاع الدم والتطهر هو تنقية مكان الدم مما علق بها ولصق، وهو الاغتسال. وكذلك في قوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا {33/33} اختلف المفسرون في أصل الفعل من قر يقر أي من الوقار أم هو فعل أمر من القرار أي قررت بالمكان. قرأ الجمهور {وَقَرْنَ} بكسر القاف: قَرَرْتُ بالمكان - بفتح الراء أقر - بكسر

القاف - إذا نزلت فيه - والأصل - اقرن - بكسر السراء - فحذفت الراء الأولى تخفيفاً، ونقلوا حركاتها إلى القاف ، واستغنى عن ألف الوصل لتحرك القاف . . فصارت الكلمة { قرن } - بكسر القاف، وقرأ عاصم ونافع { وقْرَن } - بفتح القاف - من قررت في المكان - بكسر الراء - إذا أقمت فيه . . والأصل اقْرُرْنَ الراء - فحذفت الراء الأولى لثقل التضعيف ، وألقت حركتها على القاف . . فتقول : { قَرْن } - بالفتح - للقاف - والمعنى : الزَّمَنَ يا نساء النبي صلى الله عليه وسلم بيوتكن³² ، وقيل بأنه من الوقار كما يقال وعد يعد عد، قيل معناه لا تتكسرن ولا تتغنجن، ويحتمل أن يكون المراد لا تظهرن زينتك، ووجهها أبو عبيدة عن الكسائي والفراء والزجاج بأنها لغة أهل الحجاز في قر بمعنى: أقام واستقر، يقولون: قررت في المكان بكسر الراء من باب علم فيجيء مضارعه بفتح الراء فأصل قرن اقرن فحذفت الراء الأولى للتخفيف من التضعيف وألقت حركتها على القاف نظير قولهم: أحسن بمعنى أحسن³³ ، وواضح أن التوجيه اللغوي وجه تفسير الآية نحو الوجه الثاني الذي يتفق وما يتلاءم مع آيات أخرى.

أثر البنية الصرفية في أبنية المشتقات:

ومن المواضع التي تظهر أثر البنية الصرفية في أبنية المشتقات كثيرة، منها: في قوله تعالى: وإنا جميعاً لحاذرون: قرأ نافع وابن كثير ل(حاذرون) فيما قرأ الباقون (حذرون)، فما الفرق الدلالي الذي تفيدته الآية في كلا الوجهين؟ يميل جمهور العلماء من لغويين ومفسرين إلى التفريق بين البنتين الصرفيتين لأن الحاذر من التحذير الآني والظرفي فيما الحذر المخلوق حذراً ولا تلقاه إلا حذراً³⁴ ، وقال الزجاج: الحاذر : المستعد ، والحذر : المتيقظ الخائف، واجتناب الشيء خوفاً منه، مخالفين بذلك رأي سيبويه الذي يرى بأهمها معنى واحداً³⁵ .

وقد اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } هل بديع من بدع الثلاثي فهي صفة مشبهة أم من أبدع فيكون فعيل بمعنى مفاعل فهي عليه اسم فاعل. فبعضهم قال البديع والمبدع بمعنى واحد، قال القفال: وهو مثل أليم بمعنى مؤلم وحكيم بمعنى محكم³⁶ ، غير أن في بديع مبالغة للعدول فيه وأنه يدل على استحقاق الصفة في غير حال الفعل على تقدير أن من شأنه الإبداع فهو في ذلك بمنزلة : سامع وسميع وقد يجيء بديع بمعنى مبدع ، والإبداع الإنشاء ونقيض الإبداع الاختراع على مثال؛ ولهذا السبب فإن الناس يسمون من قال أو عمل ما لم يكن قبله مبتدعاً³⁷ .

يتضح جلياً مما سبق أن الأنظمة اللغوية مجموعة من المستويات البنوية المتداخلة التي تعمل في تناغم كلي، الأول يفضي إلى الثاني، والثاني يبني على الأول، ويبقى الفصل بين هذه المستويات متعذراً إلا على مستوى نظري مجرد، وتبقى وسيلة الإبانة الوحيدة عن المعنى اللغوي في مستوياته المتلاحمة: الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والسياقي³⁸ .

تقديم الأصوات والحروف العربية للناطقين بغيرها مقدمة لتعليم الصرف العربي

ينبغي لدى تدريس الأصوات وحروفها الاستناد إلى منهجية واضحة ومرتبطة بتدريس الصّرف العربي والأوزان والأبنية، حيث من الضروري التأكيد على عدد من الأسس اللغوية، لعل من أبرزها مفهوم المقطعية،
فينبغي:

- تقديم الصوائت القصيرة والطويلة أولاً من خلال حرف الدال على سبيل المثال لأنه لا يتصل بما قبله من حروف فلا توقع الطالب في درسه الأوّل في قضية وصل الحروف وفصلها.
 - تستند القراءة في العربية وإتقانها إلى فلسفة تموضع الحركات، فغالباً كلّ ما يسبق حروف العلة الطويلة يكون من جنسها إلا فيما ندر، ونحاول تجنب ذلك في البداية، كقولنا: نار ونور ونير، فنحن لسنا بحاجة إلى وضع أيّ من الحركات على مثل هذه الكلمات، وبذلك يبدأ بالتعرف على أسرار بناء الكلمة في العربية.
 - التأكيد على المقطعية في الكلمات العربية، بأنّ الكلمة العربية تتكون في الغالب من مقطع واحدٍ أو مقطعين اثنين أو ثلاثة، حيث يستهل ذلك على الطالب كيفية إدراك الكلمة وقراءتها وتعرّف نوعها الصرفي.
 - الوقوف على التحويلات التي تطرأ على بعض الكلمات لدى انتقالها من صيغة إلى أخرى، ولا نفترض جدلاً أنّ معرفة الكلمة كافية للطالب الأجنبي، إذ لا بد من شرح توضيح المعلم للطلبة كيفية تحول الكلمة من وزن لآخر وتوليدها لكلماتٍ أخرى.
- من مبادئ تدريس الصرف العربي للناطقين بغيرها¹:

الكشف عن النمط:

يبدو لكثير من المعلمين سهولة بعض التراكيب والأنماط في أذهانهم بحيث لا يقدمونها ولا يشرحون كيفية اشتقاقها أو بنائها للطالب، وهي ليست كذلك بالنسبة للطلبة متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها؛ مما يحول دون اشتقاق أمثلة على ذلك النمط، كما يحول دون فهم بنيته وكيفية محاكاته وتمثله. إن الطالب الأجنبي متعلم اللغة العربية معني بمعرفة سر بناء الكلمة وكيفية تركيبها، فإذا عرف المتعلم كيفية تركيب المفردة العربية الصحيحة ومارس النظر فيها أصبح من السهل عليه أن يركب مفردات صحيحة، وسيجد أن معرفته بنمط المفردة ساعده على ذلك. فالمتعلم يجب أن لا يكون همه منصباً على حفظ الكلمات دون إدراك أسرارها بقدر معرفة سر الكلمة الذي بمقتضاه ركبت الكلمة.

تقديم النمط من خلال النصوص

¹ أفدت في هذا الجزئية من كتاب علم اللغة التعليمي لسмир استيتية

كثيراً ما يتم تقديم الظواهر اللغوية للناطقين بغيرها منعزلة منفردة، دون ظهورها في سياقات تسهل عملية فهمها، فمثلاً في تصريف الأفعال، فغالباً ما نجد قوائم للضمائر وما يقابلها من تغيرات صرفية، وهكذا دون ظهورها في سياق لغوي يحدد ماهيتها ويسهل فهمها، فلا نكاد نجد في نص يتحدث مثلاً عن الأسرة، فخالد تخصص في اللغة العربية وروان تخصصت في اللغة الفرنسية، ووالدي يعمل في مستشفى، ووالدي تعمل في مدرسة. إن دراسة الظاهرة اللغوية سياق يسهل عملية الفهم والترسيخ، لست في الحقيقة ضدّ القوائم والجدوال بل إنني أستخدمها وأفضلها أحياناً، ولكن بعد السياقات اللغوية.

تقليب النمط ضمن حالاته

لا يكفي ظهور الكلمة أو النمط الصرفي في سياق واحد، إذ لا بدّ من تعدد سياقاته اللغوية، فإذا ظهر تصريف الفعل الماضي مع هو، فلا أن نظهره مع الولد، ووالدي، والقلم، وهكذا دواليك. وإذا تكلمنا عن المصدر مثلاً لا بد من ظهوره مجرداً من ال التعريف، ومعرفاً بها، ومرفوعاً ومنصوباً ومجروراً، ومضافاً ومضافاً إليه وهكذا.

ممارسة النمط

لا يكفي للمتعلّم الأجنبي أن يرى تقلبات الظاهرة اللغوية، بل لا بدّ أن يقوم هو بنفسه بتطبيقات هذا النمط في سياقات متعددة، كأن نقول له ضعه في وضع الفاعلية والمفعولية والظرفية إلخ من حالات يمكن للنمط الظهور فيه.

التعبير اللغوي بالنمط

يذهب أستاذنا اللساني سمير استيتية إلى أنّ اللغة = تعبير + قواعد لغوية، ولا شك أنّ دفع قدرة المتعلمين على التعبير من شأنه أن يخفف من وطأة حفظ الأنماط، كما يجعل هذه الأنماط في خدمة التعبير الذي هو الغاية القصوى، والهدف النهائي من تعلم اللغة وأنماطها.³⁹

التكامل بين الأنماط

يتحقق تكامل الأنماط على مستويين، بين فروع اللغة العربية، وبين الأنماط نفسها، إن توظيف الأنماط المتعلمية جميعها في تراكيب لغوية مألوفة يجعل تعلمها أيسر وتذكرها أسهل، كما التذكير بها في كل دروس اللغة: مهاراتها وعناصرها يعزز من التمكن منها واستظهارها.

تخيّر الأنماط الوظيفية والتدرج في تقديمها وفقاً لمستوى الطالب:

تذكر كتب التصريف القديمة بأنّ المباني والصيغ الصرفية في اللغة العربية تبلغ 1210 عشرًا ومائتين وألف صيغة ونمط، فيما المستعمل من هذه الأنماط والأوزان العربية 120 وزناً أو نمطاً فقط. وهذه الأنماط المائة

والعشرين مختلفة في درجة شيوعها والحاجة إليها، لذلك ينبغي دراستها دراسة إحصائية والتخبر منها حسب الحاجة، فلا يتم مثلاً تقديم اسم التصغير قبل اسم المكان والزمان، ولا اسم الزمان والمكان قبل المصدر.

تصنيف اللواصق التصريفية:

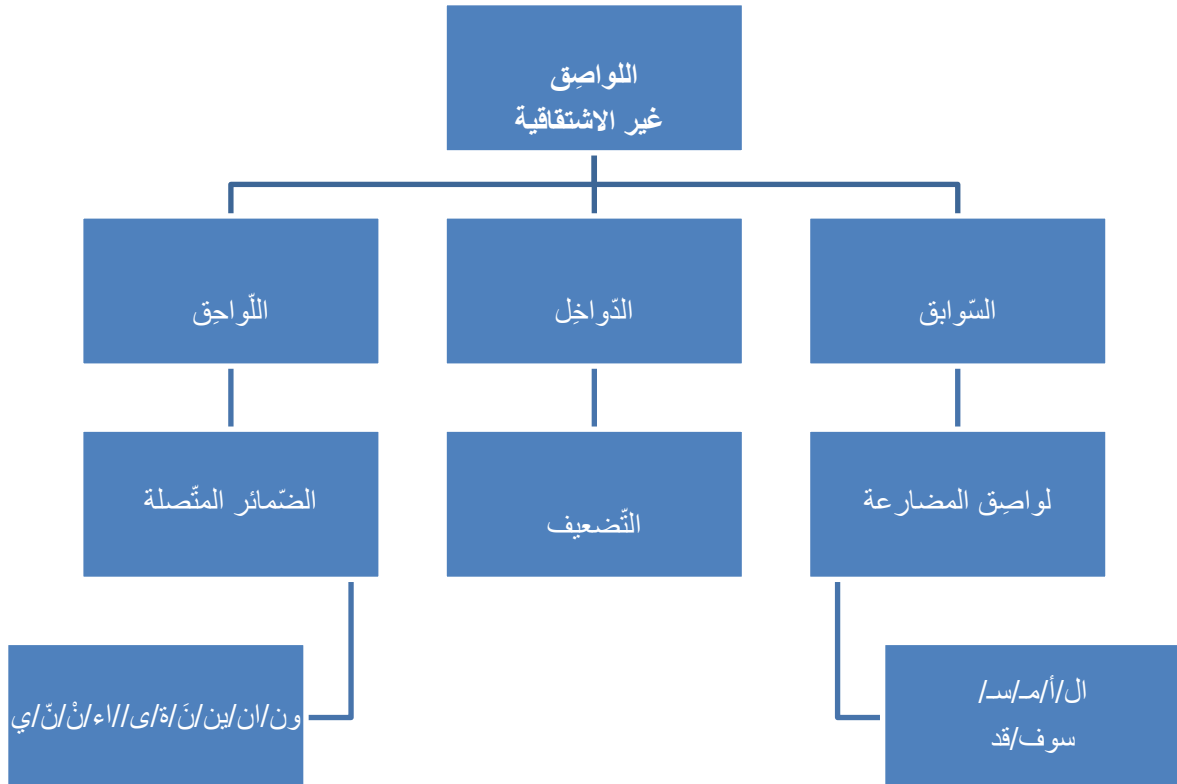
ترجمت كلمات RREFIXES و INFIXES و SUFFIXES إلى مصطلحات مختلفة متنوعة، ومن أفضل الترجمات التي يريتها الباحث في هذه الدراسة:

السوابق، وهي العناصر التي تضاف إلى أول الكلمات، كلواصق الفعل المضارع (ي، ت، أ، ن)

والدواخل، وهي العناصر التي تتوسط الجذر، كالتضعيف.

واللواحق، وهي العناصر التي تضاف إلى نهاية الجذر، كالألف والنون (ان) والواو والتون (ون) للجمع المذكور السالم، والألف والتاء علامة الجمع المؤنث السالم (ات).

وتؤدي السوابق واللواحق دوراً كبيراً في تحديد بداية الكلمة ونهايتها. وتسمى هذه باللواصق غير الجذرية. ولا شك أنّ فهم الطالب الأجنبي لهذه المسألة تساعده في تحصيل فهم أعمق للغة العربية وتعامل أيسر للكلمات العربية.



ومعلوم لدى متخصصي اللغة العربية ومعلميها ما لهذه اللواصق من دلالات ومواطن استخدام، لذلك فإننا لا نفصل القول فيها حتى لا يطول البحث بما هو معلوم معروف لدى المتخصصين. وقد اقترب من هذا المنهج الدكتور عبد الدائم حين ذكر بأنّ مناهج العرب القدماء في التحليل الصرفي جاءت على ثلاثة نماذج للتحليل الصرفي، إذ سلك الصرفيون العرب طريق الجدوال التصريفية لضبط تغييرات الضمائر ونحوها من المبنيات، ويلجأون إلى وسيلة العلامة لضبط بعض تغييرات التصريف كالتثنية والجمع السالم، ويعمدون إلى الموازين الصرفية لضبط تغييرات المشتقات وجمع التكسير والتصغير⁴¹. فالجدوال التصريفية تلائم طائفة معينة من تركيب الكلمة العربية كالضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة. أمّا نموذج العلامة فيقوم برصد تغييرات الكلمة عندما تنتقل من حالة إلى حالة، كتغيير الاسم من التذكير إلى التأنيث ومن الأفراد إلى التثنية أو الجمع. أمّا النموذج الثالث: نموذج الميزان الصرفي فيقوم برصد توليد الأوزان إمّا بالزيادة أو النقصان. وهذه التي يطلق عليها بعض الباحثين باللواصق الاشتقاقية وسيتمّ بحثها من خلال ما يعرف في اللغة العربية بالأوزان الصرفية. وتلزم الإشارة أنّ هذه النماذج الثلاثة للتحليل الصرفي قد وردت في العربية متضافرة متكاملة، لا متخالفة متعاقبة، مما يفيد أن ليس لأحدها مزيد كفاءة عن الآخرين، إذ بحسب الواحد من هذه النماذج أن يقوم حيث لا يمكن أن يقوم غيره، وأن يقوم بالتحليل الصرفي التام للحالة التي نيط به تحليلها صرفياً⁴².

الأوزان العربية:

تستند فكرة الأوزان العربية العبقريّة إلى فكرة الاشتقاق، والاشتقاق كما هو معلوم اشتقاق (نزع) لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنيّ ومبني، وتغايرهما في البنية بحركة على الأقل كاشتقاق المصدر من الفعل في قولنا (فَتَحَ - فُتِحاً)⁴³ أو بحرف على الأقلّ زيادة. كاشتقاق اسم الفاعل من الفعل فكقولنا: (كتب كاتب). ونظراً لتميّز اللغة العربية بهذه الصفة أي قدرتها على توليد أبنية من أبنية أخرى بأنّ سمّيت باللغة الاشتقاقية، لقابليتها على التصرف والتوليد. وهو بكلمات آخر توليد أبنية من أبنية أخرى مع اتفاهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافاً أصواتاً أو هيئة.

ولم يخرج المحدثون عمّا ذكره القدماء بشأن الاشتقاق وكيفية إنتاج البنى المشتقة، وتبيّن أنّ الاشتقاق تحوّل داخلي للبنية من حيث الشكل والوظيفة والدلالة، إذ لآثرت المعجم بوحداث معجمية غير محدودة؛ لأنّ البنى المشتقة كلها تدور على محورٍ معنويّ واحد، أو محاور معنوية قريبة في الأصل حتى جعل بعض اللغويين الاشتقاق من موضوعات المورفولوجيا المعجمية الاشتقاقية⁴⁴.

وينقسم الاشتقاق إلى أنواع ثلاثة: الاشتقاق الصغير أو الأصغر، والاشتقاق الكبير أو الأكبر، واشتقاق

الكبار.

والاشتقاق الصغير هو نزع لفظ من آخر أصل منه بشرط اشتراكهما في المعنى والأحرف الأصول وترتيبها كاشتقاق اسم الفاعل قابل واسم المفعول مقبول والفعل تقابل وغيرها من الاشتقاقات من المصدر على رأي البصريين والجذر على رأي الكوفيين. وهذا النوع من الاشتقاق هو أكثر الأنواع وروداً في العربية وأكثرها أهمية وهو مناط هذا البحث وعليه تجري كلمة اشتقاق إذا أطلقت دون تقييد⁴⁵.

والاشتقاق الكبير وهو المعروف بالقلب اللغوي. وهو يقوم على التقلب: تقليب حروف الأصل إلى التقلبيات المحتملة كلها، وقد ينتج عن ذلك معنى مشتركا واضحاً أو باهتاً، فمن الأصل (ك ب ر) نشق كبر / كرب / بكر / برك / ركب / ربك .

والاشتقاق الكبار هو النحت، أي أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع دلالة المأخوذ على المأخوذ منه، وفي هذا النوع تسقط بعض حروف المأخوذ منه ويبقى بعضها ثم تؤلف الحروف الباقية في كلمة واحدة تخضع لمقاييس العربية سواء أكانت اسماً أم فعلاً، كقولنا من عبد شمس عبشمي، وقد نشق من الجمل أفعالاً، بسم الله الرحمن الرحيم بسم، ولا حول ولا قوة إلا بالله حوقل وهكذا.

ولما كان الاشتقاق كذلك أي أخذ كلمة من أخرى، لا بد أن يفهم الطلبة الناطقين بغير العربية من أنّ التغيير الاشتقائي (الميزان الصرفي) يستغرق:

- الحركات
- الزيادة
- الحذف
- الزيادة والحذف
- التقديم
- التأخير

والميزان الصرفي الذي اعتمد عليه الدرس الصرفي بشكل قوي قد كان نموذجاً فريداً في الدرس اللغوي الدقيق، وذلك أنّه فرّق بدقة عالية بين التغييرات المورفولوجية والتغييرات الصرفية، فلم يسجل تغييرات الإعلال والإبدال والإدغام بسبب وعي الصرفيين العرب بالفرق بين هذين النمطين من التغييرات وقصرهم الميزان على التغييرات الصرفية لا الفونولوجية. ويعدّ نموذج الميزان الصرفي في هذه النقطة أرقى مما وصلت إليه الفونولوجيا التوليدية التي لا تقوم بهذا التفريق، يقرر اللغويون في ذلك: إنّ الفونولوجيا التوليدية كما طوّرها تشومسكي وهال قد انتقدت لفشلها في التفريق بين القواعد الصوتية والصرفية⁴⁶.

وإنّ الأبنية الصرفية والأوزان بمثابة قوالب فكرية عامة تصاغ فيها الألفاظ وتتحدد بها المعاني الكلية والمفاهيم العامة، بذلك يتوفر على المتعلم كثير من الجهد الذهني من جهة وذلك بتخصيص صيغة / قالب

فكري عام يدل على شيء أو معنى عام يسهل تمثله واستحضاره في الذاكرة إذ ترتسم في ذهنه دلالة عامة أو أكثر لكل ما جاء على تلك الصيغة من كَلِم، ومن جهة ثانية تفرعية توليدية يمكنه أن يحاكي/يقلّد ما يسمعه من ألفاظ على تلك البنية أو ذلك القالب حكاية آلية محضة بل يقيس بنية على بنية فيأخذ بالمقاييس والمثل دون محتوى الكلام، إذ يستطيع أن يولد ويفرّع ويخلق ليس الألفاظ التي سمعها فقط بل حتى التي لم يسمعها قط، وذلك بأن يبني على ذلك المثل أو يصب في ذلك القالب لفظة من أيّ أصل لغوي، وذلك كقولهم إن كان الماضي على فَعَلْ فالمضارع على يَفْعُلْ، فلو أنّ الطالب سمع ماضياً على فَعَلْ لقال في مضارعه يَفْعُلْ، كأن يسمع لأول مرة ضؤل ولم يسمع مضارعه فإنه سيقول يضؤل، وإن لم يسمع ذلك ولا يحتاج إلى أن يسمعه، ولو كان بحاجة إلى ذلك الاستماع لما كان لهذه الحدود والقوانين التي وصفها المتقدمون وتقبلوها وعمل بها المتأخرون معنى يفاد ولا غرض ينتحيه الاعتماد⁴⁷.

إنّ الأوزان العربية وفكرتها نظام رياضي توليدي تحويلي إجرائي يهتم به اللغوي اللساني العربي الذي يرى في اللسان صورة ومادة معاً.

وفيما يتعلق بكون بعض الصيغ سماعية وهي تؤخذ سماعاً لا قياساً، فنحن لا ننكر ذلك إلا أنّها أي تلك الصيغ السماعية قليلة العدد بالمقارنة مع الصيغ القياسية ناهيك عن أنّها أي الصيغ السماعية كثيرة الدّوران من خلال استقراء معانيها وموازنتها ومقارنتها يمكن ضبط تقنين معانيها على شكل تشجير أو تفرّيع.

- ¹ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي محمود السعران 1962.
- ² البنى النحوية، تشومسكي.
- ³ تقسم المورفيمات إلى مورفيمات إلى مورفيات حرة ومورفيمات مقيدة، أما المورفيمات المقيدة فهي التي لا يمكن استعمالها مستقلة بل تمون متصلة بمورفيمات أخرى، وعلامة التنثية (اه) وعلامة الجمع (ون) وعلامة التأنيث (ة)، أما المورفيمات الحرة فهي مورفيمات جذرية لها قيمة معجمية مثل قرأ/يقرأ/ قارئ.
- ⁴ الدجني: 5.
- ⁵ مارتنيه 1965
- ⁶ بليول 17
- ⁷ بليول 17.
- ⁸ في كتابه أسس علم اللغة.
- ⁹ اللغة العربية طرائق تدريسها عبد المهدي وأبو عودة: 85.
- ¹⁰ عمر، 1988
- ¹¹ دي سوسير: ص51، و(4-1:2007)، Watson، والنحاس: 11.
- ¹² شاهين، المنهج الصوتي للبنية الصرفية: 7.
- ¹³ اللسانيات قدور 138.
- ¹⁴ شاهين: المنهج الصوتي 24.
- ¹⁵ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها 66 وما بعدها.
- ¹⁶ شاهين: المنهج الصوتي
- ¹⁷ التحرير والتنوير: 4/236
- ¹⁸ تفسير الطبري: 7/567.
- ¹⁹ مجاهد، علم اللسان العربي 44.
- ²⁰ النجار، 1994
- ²¹ اللغة العربية معناها ومبناها: 1994.
- ²² المنهج الصوتي، عبد الصبور شاهين: 6
- ²³ اللغة العربية معناها ومبناها: 1994.
- ²⁴ نفسه
- ²⁵ ضوابط الفكر النحوي: د. محمد عبد الفتاح الخطيب: 1/585
- ²⁶ الرازي في مفاتيح الغيب: 5/325.
- ²⁷ شمس العلوم: 28:2002-Carstairs-McCarthy.
- ²⁸ اللغة العربية معناها ومبناها: 1994
- ²⁹ البرهان في علوم القرآن.
- ³⁰ الطبري: 4/501
- ³¹ معاني القرآن للفراء 1/143
- ³² الطبري: 4/396
- ³³ الرازي: 3/30
- ³⁴ الطبري: 19/353.
- ³⁵ فتح القدير للشوكاني 5/310، ومعاني القرآن للفراء: 3/245.
- ³⁶ الرازي: 2/311
- ³⁷ نفسه.

39 علم اللغة التعليمي سمير استنبئية

40 وردت هذه الفكرة وبرسم مختلف قليلاً لدى أشواق النجار في كتابها دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية

41 عبد الدايم ص 36

42 عبد الدايم 56

43 مع إدراكنا للخلاف الواسع الشاسع بين البصرين والكوفيين حول هذه المسألة أيهما مشتق من الآخر، الفعل من المصدر، أم المصدر من الفعل الماضي، لدرجة قد أفرد ابن الأرنباري فصلاً خاصاً لهذه المسألة أورد فيها أدلة كل قوم وحججهم، لكنني في الحقيقة أميل إلى رأي الكوفيين الذين يعدون الفعل أصل المشتقات وذلك لمناسبته للتدرج التعليمي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

44 النجار ص 95

45 المعجم المفصل

46 عبد الدايم 51

47 دلالة الصيغ الصرفية في ضوء علم اللغة الحديث، أحمد الشريف

المصادر والمراجع

- أولمان، ستيفن (1997). دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، الطبعة الثانية عشرة: القاهرة.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.
- بلبول، محمد (2008). بنية الكلمة في اللغة العربية: تمثيلات ومبادئ. الطبعة الأولى، نشر فكر، الرباط.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، المنصف : شرح لكتاب التصريف لابي عثمان المازني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، التصريف الملوكي، طبعة شركة التمدن الصناعية، القاهرة .
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الاسلامي، بيروت، ط. 3.
- ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر، الشافية.
- الحديثي، خديجة (1965). أبنية الصرف في كتب سيبويه. بغداد: الطبعة الأولى.
- حسان، تمام (1994). اللغة العربية معناه ومبناها. مصر: دار الثقافة.
- ابن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، تفسير البحر المحيط.
- الخطيب، محمد عبد الفتاح (2006). ضوابط الفكر النحوي. القاهرة: دار البصائر.
- الدجني، عبد الفتاح (1983). في الصرف العربي: نشأة ودراسة. الطبعة الثانية، مكتبة الفلاح: الكويت.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح، ، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت.

- الراجحي، عبده (1999). التطبيق الصرفي. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة الأولى.
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، مكتبة دار التراث، القاهرة. ط. 1 .
- الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف.
- السكاكي، أبويعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سيبويه، أبوشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب، عالم الكتب، بيروت.
- ابن سيده، الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المخصص. دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1417هـ - 1996م.
- شاهين، عبد الصبور (1977). المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي. مطبعة جامعة القاهرة، الطبعة الأولى.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الأملي، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة.
- ابن عباد، صاحب. المحيط في اللغة.
- ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسية للنشر - تونس. 1984هـ.
- عبد المهدي، عبد الجليل، أبو عودة، عودة (1991). اللغة العربية وطرائق تدريسها (1). منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان - الأردن، الطبعة الأولى.
- عبد الغني، أيمن أمين (2000). الصرف الكافي. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. الطبعة الأولى.
- عرار، مهدي (2003). ظاهرة اللبس في العربية: جدل التواصل والتفصل، دار وائل، الأردن.
- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي، الممتع في التصريف، الدار العربية للكتاب، بيروت. ط. 5 .
- الغلابيني، مصطفى، جامع الدروس العربية، المكتبة الاهلية، بيروت. الطبعة :ط. 5 - حسن، عباس. النحو الوافي مع ربطه بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، القاهرة.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة : 1399هـ - 1979م.

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى : 207هـ)، معانى القرآن.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. العين ، دار ومكتبة الهلال، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط.
- قَدّور، أحمد (1996). مبادئ اللسانيات. سوريا ولبنان: دار الفكر، الطبعة الأولى.
- قراقيش، حسن (1990). الصرف والنظام اللغوي. الطبعة الأولى، دار الكرمل، عمّان.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، المحقق : هشام سمير البخاري، الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- القنوجي، صديق بن حسن. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1978. تحقيق : عبد الجبار زكار.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع.
- مجاهد، عبد الكريم (1997). علم اللسان العربي. منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى، عمان الأردن.
- بو معزة، رايح (2008). النحو والصرف العربي: تحليل لساني لمفردات المقياس (الميزان الصرفي) وثنائية البنية السطحية والعميقة. دار ومؤسسة رسلان: سوريا.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب ، دار صادر - بيروت.
- النحاس، مصطفى (د. ت). مدخل إلى دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة الفلاح.
- ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. 5.

المراجع الأجنبية:

- Al-Jarf, Reima (no date). **A Contrastive Analysis of English and Arabic Morphology**. King Saud University. AL-Obeikkan Printing Pressm, Riyadh, Saudi Arabia.
- *Watson, Janet C. E.(2007). The Phonology and Morphology of Arabic.* Oxford university press.
- Muhammad, Moulana Ebrahim (2006). **From the Treasures of Arabic Morphology**. Academy for Islamic Research Madrasah In'amiyyah, South Africa.

-
- *Carstairs-McCarthy, Andrew (2002). An Introduction to English Morphology.* Edinburgh University Press.

الدكتور خالد حسين أبو عمشة

المدير الأكاديمي، معهد قاصد، عمان - الأردن

مستشار أمدإيست لبرامج اللغة العربية في الشرق الأوسط.

أستاذ زائر في جامعة بريغام يانغ BYU في الولايات المتحدة الأمريكية.